المسيحيون واليهود في المنظور القرآني

الشيخ الدكتور مصطفى راشد[1]

طلب مني الأستاذ مظهر الملوحي أن أكتب دراسة موضوعية عن تحريف المسحيين واليهود للكتاب المقدس (التوراة، الزبور، الانجيل).
بدايةً بتوفيق مِن اللهِ وإرشاده وسَعيا للحق ورِضوَانه وطلباً للدعم من رُسله وأحبائه، نصلى ونسلم على كليم الله موسى عليه السلام، وكل المحبة لكلمة الله المسيح له المجد في الأعالي، وكلّ السلام والتسليم على نبي الإسلام محمد ابن عبد الله، أيضا نصلى ونسلم على سائر أنبياء الله لا نفرق بين أحد منهم -------- أما بعد:
في معرض ردّنا عن التحريف، سننظر في أمرين هامّين هما الآيات التي تتناول مسألة التحريف من جهة، والآيات التي تتناول منزلة الكتاب المقدّس من جهة أخرى.

1. الآيات التي تتناول مسألة التحريف

إنّ الآيات القرآنية المتعلقة بالكتاب المقدّس والتي يستند إليها دعاة التحريف هي قوله تعالى:

أ. ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] يقول البغوي في تفسيره قوله تعالى: "(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ) يعني التوراة (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) يغيّرون ما فيها من الأحكام (مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا - بعدما سمعوا كلام الله - إلى قومهم رجع النّاس إلى قولهم، وأمّا الصّادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق."[2]

---

[1] الشيخ الدكتور مصطفى راشد عالم أزهري رئيس الاتحاد العالمي لعلماء الإسلام من أجل السلام ورفض العنف ورئيس منظمة الضمير العالمي لحقوق الإنسان.

[2] الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م، ج 1، ص 113.

ب. ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 46].

ج. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].
ويقول ابن كثير في تفسير هاتين وشبيهاتهما: "يخبر تعالى عن اليهود، أنّ منهم فريقا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويبدّلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله؛ ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].
وقال مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 78] يحرّفونه. وهكذا روى البخاري عن ابن عباس: أنهم يحرّفون ويزيدون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرّفونه: يتأوّلونه على غير تأويله. وقال وهب بن منبه: إنّ التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغيّر منهما حرف، ولكنهم يضلّون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 78] فأمّا كتب الله فإنها محفوظة ولا تحوّل. رواه ابن أبي حاتم، فإنّ قصد وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شكّ أنّه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأمّا تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير، وزيادات كثيرة ونقصان، ووهم فاحش. وهو من باب تفسير المعبر المعرّب، وفهم كثير منهم بل أكثرهم، بل جميعهم فاسد. وأمّا إن قصد كتب الله التي هي كتبه من عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء.

د. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 13-14]. يقول البغوي في هاتين الآيتين: "قال قتادة: نقضوه من وجوه لأنهم كذّبوا الرّسل الذين جاءوا بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيّعوا فرائضه قال عطاء أبعدناهم من رحمتنا... وقيل معناه: إن قلوبهم ليست بخالصة للإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق... (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) قيل: تحريفهم بسوء التأويل باللّفظ والكلام.

وبالنّظر في هذه الآيات، من حيث المعاني والمقاصد واللّغة وأسباب النزول نجد أنّ الآيات تشير إلى من يحرّفون الكلم عن مواضعه -- والضمير هنا عائد على رجال الدّين اليهود والمسيحين وليس الكتب، بل عائد على الذين يحرفون الكلم بألسنتهم تأويلاً وليّا، ولم تقصد الآيات النص في ذاته مطلقا، سواء كتاب الإنجيل أو كتاب التوراة، حيث أنّ بهما الحقيقة التي لا يذكرها حسب كلام الآيات رجال الدّين اليهود والمسيحيين فهذا مقصد الآيات.

وتأكيدا على استحالة تحريف التوراة والإنجيل نورد بعض الآيات:
أ. يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]. ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقوله "ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا"، هذه تسلية للنبي وتعزية له فيمن كذّبه من قومه وأمره بالصّبر كما صبر أولو العزم من الرّسل ووعده بالنّصر كما نصروا... قال: "ولا مبدّل لكلمات الله"، أي التي كتبها في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال لأنّ كلام الله محفوظ من التبديل والتحريف"، والكلمات هنا هي السّنن الكونيّة التي قام عليها الوجود والحركة، وهي قراراته والأحكام التي حفظت في اللوح المحفوظ.[3]

ب. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115] هناك ميل عام إلى أن (كلمة ربّك) هنا هي كل كلام الله المنزل في كتبه. ثم يضيف: (لا مبدّل لكلماته). يذهب الكثيرون إلى أنّ المعنى: لا مُغيّر لأحكامه وكلماته المنزلة!! ويقول الله تعالى أيضا: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 64].

ج. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. ويستفتح بعض المتشدّدين على أهل التوراة والإنجيل بأن القرآن حفظ بمعجزة سالما كما نزل على (النبيّ الأميّ)، ويستعلون عليهم متّهمين إيّاهم بتحريف التوراة والإنجيل بينما هم قد حافظوا على صحّة نقل القرآن، وسلامة حفظه، ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. قالوا: هذه نبوّة عن حفظ القرآن، وفي تواتر نقله سالما عن الرسول معجزة تؤيّد تلك النبوة. والسؤال هنا: هل لفظة ذكر في القرآن تقتصر على القرآن فقط؟

[3] **ابن كثير**، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419، ج 3، ص 225.

وهل المقصود بآية سورة الحجر 9: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ هو القرآن؟ وهل تكفّل الله في حفظ كلامه بالقرآن دون سواه من كلام وكتب مثل الإنجيل والتوراة؟
فنحن لا ننكر أن تعبير الذّكر اطلق على القرآن في أكثر من سورة وآية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6].
غير أنّنا نعلم أن القرآن قد أطلق تعبير الذّكر على الإنجيل والتوراة كذلك وعليه نقول إن لفظة (الذكر) لا تقتصر على القرآن، بل هو مرادف للكتاب، كما أن (أهل الذكر) مرادف (لأهل الكتاب). فالذكر في لغة القرآن، مرادف للكتاب. وعلى الحصر، فهو مخصوص بالتوراة، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]. كما هو مخصوص بالإنجيل كقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58]، والخطاب في آية آل عمران لعيسى المسيح.
فالذّكر الحكيم، خلافا لما يتوّهمه العامّة، مرادف للكتاب المقدّس، أي التوراة والإنجيل، وهذا واضح من تسمية القرآن (أهل الكتاب) أهل الذكر: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء 7]. إنّ الذّكر على الإطلاق هو الذي عند أهل الكتاب، أهل الذّكر. وما الذّكر الذي أنزل على محمد سوى تفصيل للذّكر الحكيم، كما أنّ القرآن هو ﴿تَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ [يونس 37].

د. ويقول البغوي في تفسير قوله عزّ وجل: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27]. ما أوحي إليك من كتاب ربّك يعني القرآن واتبع ما فيه (لا مبدّل لكلماته) قال الكلبي: لا مغيّر للقرآن. وقيل: لا مغيّر لما أوعد بكلماته أهل معاصيه أي لا مبدّل للسنن. وقيل لا مبدّل لكلمات الله في القرآن والإنجيل والتوراة وكلّ كلماته المنزّلة. ولأنّ هذه الآيات واضحة، لا لبس فيها، حيث تؤكّد استحالة تحريف كلام الله بِلَا النافية نفياً قطعياً، لذا يقال عن تلك النصوص أنها قطعيّة الدلالة، لوضوحها، فهي لا تحتمل التأويل أو التورية، أي أنّ كلام الله من المستحيل لبشر تبديله، ومن يقول بغير ذلك ويُكفّر أهل الكتاب، فقد كفر لإنكاره معلوما من الدّين بالضرورة قطعيّ الدّلالة ولكن يستطيع أن يقول إنّهم كافرون بالإسلام ولا يرميهم بالكفر عامّة.

2. منزلة الكتاب المقدّس في القرآن:

أ. كما أن القرآن به الكثير من الآيات التي تُعظم الإنجيل والتوراة، مثل قوله تعالى في سورة آل عمران آية 3: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]، في تفسير هذه الآية يقول القرطبي قوله تعالى: نزل عليك الكتاب يعني القرآن بالحق أي بالصدق، وقيل : بالحجّة البالغة . والقرآن نزل منجّما. فلذلك قال (نزل) والتنزيل مرّة بعد مرّة. والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة فلذلك قال أنزل.

ومصدّقا حال مؤكّدة غير منتقلة، لأنّه لا يمكن أن يكون غير مصدّق، أي غير موافق، هذا قول الجمهور. وقدر فيه بعضهم الانتقال على معنى أنه مصدّق لنفسه ومصدّق لغيره.

ب. ويقول الله تعالى أيضا ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 48].

ج. ويقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

د. وقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: 43].

ج. ويقول الله تعالى أيضا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية قيل: كل من بعث من بعد موسى بإقامة التوراة والإيمان بها، وأنّ اليهود قالت: إنّ الأنبياء كانوا يهودا. وقالت النصارى: كانوا نصارى صدّقوا جميعا بالتوراة من لدن موسى إلى زمان عيسى عليهما السّلام. كانوا يحكمون بما في التوراة، وقيل: معنى "أسلموا" خضعوا وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به، وقيل: أي يحكم بها النبيّون الذين هم على دين إبراهيم (عليه السّلام) والمعنى واحد. و"الذين أسلموا" ههنا نعت فيه معنى المدح. أي إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيّون والربّانيّون والأحبار; أي ويحكم بها الربّانيّون وهم الذين يسوسون الناس بالعلم ويربّونهم. وقال أبو رزين: الربّانيّون العلماء الحكماء والأحبار. قال ابن عباس: هم الفقهاء: والحبر الرّجل العالم وهو مأخوذ من التحبير وهو التحسين، فهم يحبّرون العلم أي يبيّنونه ويزيّنونه، وهو محبر في صدورهم. قال مجاهد: الربّانيّون فوق العلماء، والألف واللاّم للمبالغة.

د. ويقول الله تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية قول تعالى: "وقفينا" أي : اتّبعنا (على آثارهم) يعني: أنبياء بني إسرائيل [عليهم السلام] (بعيسى ابن مريم مصدّقا لما بين يديه من التوراة) أي: مؤمنا بها حاكما بما فيها (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) أي هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشّبهات وحلّ المشكلات لكلّ الناس. (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) أي: متّبعا لها، غير مخالف لما فيها، إلاّ في القليل ممّا لدى بني إسرائيل

وبعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارا عن المسيح أنّه قال لبني إسرائيل: (ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم) [آل عمران : 50]. ولهذا كان المشهور من قول العلماء أنّ الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة. وقوله: (وهدى وموعظة للمتّقين) أي: وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به الخلق، (وموعظة) أي: وزاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم (للمتّقين) أي: لمن اتّقى الله وخاف وعيده وعقابه.

هـ. وقوله تعالى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 47]. الآية واضحة في تعظيم الإنجيل ودعوة الله لهم للحكم بما جاء فيه ومن ينكر أو يرفض ذلك فأولئك هم الفاسقون، أمّا ابن كثير فيقول في تفسير هذه الآية وقوله: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) قرئ (وليحكم) بالنصب على أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل [فيه هدى ونور] ليحكم أهل ملّته به في زمانهم.

و. قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66].

ز. ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68]، إشارة إلى أنّ إيمان المسيحيّين واليهود يتوقّف على تعظيم وإقامة التوراة والإنجيل -- ويقول ابن كثير يقول تعالى: قل يا محمد: (يا أهل الكتاب لستم على شيء) أي: من الدّين (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزّلة من الله على الأنبياء.

ح. وفى سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 110]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية يذكر تعالى ما امتن به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم (سلامه علينا) ممّا أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات.

وبخصوص الجزء الثّاني من الموضوع، وهو: هل يحقّ لنا أن نطلق على المسيحي واليهودي مشرك أو كافر؟ نقول أنه من الكفر أن نطلق على المسيحيين واليهود مشركين أو كفار حتى لو كفر أو أشرك بعضهم، ذلك بعد أن وصفهم الله بأهل الكتاب.

ي. ويقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

ونجد في سورة النساء آية 123 ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 123]. وفي الآية 131 ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: 131].

وفي سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5] وفي سورة المائدة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68].

وفي سورة الأنعام ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 154].

وفي سورة يونس ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94].

وفي سورة هود ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: 17].

وفي سورة الإسراء ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 2].

وفي سورة العنكبوت ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

وفي سورة السجدة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: 23].

وفي سورة الجاثية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: 16].

وفي سورة الحديد ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29].

ذلك وغيرها عشرات الآيات التي تتكلّم بكلّ وضوح على أنّ اليهود والمسيحيين هم أهل كتاب ويختلفون عن المشركين والكفار، ومن كفر منهم أو أشرك يلحق بالمشركين والكفار، لكن يظل أهل الكتاب، أهل كتاب كما وصفهم الله، ومن يقول بغير ذلك فينكر معلوما من الدّين بالضّرورة.

لذا علينا ألا نستمع للجهلة، الذين يكذّبون على الله ويضلّلون النّاس، ظلماً وبهتانا، وهناك فارق كبير بين أهل الكتاب والكافرين والمشركين بوجود الله -- حمانا الله من هذا الشرك وهذا الإثم العظيم.

هذا والله من وراء القصد والابتغاء. والله المستعان.